الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

محاضرة

إياك نعبد وإياك نستعين

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وتلك درجة رفيعة ومنزلة عالية، أن يعيش الإنسان لله عبدًا: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾، ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾، ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾. درجة العبودية لا يستنكف عنها أحد.

وعبودية الوقت عند الأذان الترديد مع المؤذن، وعبودية الوقت عند دخول الصلاة التأهب والتهيؤ والاستعداد بدنًا وروحًا، والعبودية عند الملمات وعند المحل وعند المجاعات إطعام الطعام وسقيا الماء. والعبودية تختلف من مكان إلى مكان ومن حال إلى حال، وأفضل العبوديات على الإطلاق ما كان نفعها متعديًا كتعليم الجاهل وإرشاد الضال وتقويم الاعوجاج ونشر الوعي.

وحسن العبادة إخلاصها لله، ولذلك: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾، ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾. فالعبادة الخالصة التي يراد بها وجه الله ويسعى بها الإنسان إلى تحقيق معاني العبودية، هذا هو إحسان العبادة. ثم أن تكون موافقة لشرعه، أن لا تكون وفق مقتضيات الأهواء ولا وفق مسالك الأمزجة. الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

طيب، بعد هذه المقدمة عن مفهوم العبادة إلى موضوعنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وأقول أيها الأحبة، العبادة الآن تقع من الناس ولكنها عبادة صورية، يعبدون الله صورةً وشكلًا. العبادة النافذة إلى جوهرها، العبادة المرتبطة بفقه مقاصدها، العبادة القائمة على حقائقها وعلى لبها ضعيفة.

أنا أعطيك أمثلة. الأذكار التي نقولها هي درب من دروب العبادة، تخرج الأذكار من الجوف إلى اللسان بدون أن تحقق قيمة يشعر بها صاحبها، يعني لا نتدبر الأذكار التي تقال. بعد الصلاة نقول: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت. إذا أراد الله أن يعطي لا توجد على وجه البسيطة قوة تمنعك عطاء الله، ولا معطي لما منع. هذا كلام يقال كثيرًا وعشرات المرات بعد كل صلاة، هل هو حقيقة نافذة في سلوكياتنا ومعاملاتنا؟ عشان كده العبادة صورية.

قبل وضوء الجوارح لا بد من وضوء القلب وغسله من أدرانه ليكون متجهًا إلى الله لا يلتفت إلى غيره، هذه المعاني الحقة في العبودية غائبة وضعيفة.

الصلوات وفق مقاصدها، والأذكار التي فيها: الله أكبر، كل كلمة تدل على معنى، كل كلمة في الصلاة. كان عليه الصلاة والسلام يقول: اللهم خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقل به قدمي. السجود بالوجه كله، موضع التعالي أن تذل به لله ذلًا ما بعده ذل، أكرم موضع وأشرف عضو عندك في ظاهر الأعضاء. اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين، كان هذا من أذكاره عليه الصلاة والسلام في السجود.

أنت إذا قلت الذكر تسبيحًا أو تحميدًا أو تكبيرًا أو إجلالًا، أتدرك المعاني وتنفذ إلى الحقائق؟ الجنة غيب، النار غيب، الصراط غيب، لكن يحتاج إلى إيمان عالٍ. الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف، تمر عليه الأمم من الأولين والآخرين عددهم لا يعلمهم إلا الله. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، أعلى درجات الإيمان.

في العصر الذي يتعاظم فيه التيار المادي تتضاءل حقائق اليقين. الإنسان في ظل هذه المسألة تستغرقه الحياة المادية فتضعف القيم الروحية والمعاني الغيبية عنده. يعني أنا أديك معنى: ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها. الدنيا وما فيها ده كلام كبير. الدنيا فيها شنو؟ فيها نفط، وفيها مناجم الذهب، وفيها مصانع

العربات، وفيها اللاندكروزات اللي في الدنيا كلها، والأراضي الزراعية، وأسواق الذهب في دبي، والبورصات الموجودة في واشنطن. معقول نحن ما عندنا يقين بالكلام ده؟ اليقين ضعيف، وهذا يجعل العبادة عبادة صورة، نتعبد بأبداننا دون أن تنفذ العبادة إلى قلوبنا، ودون أن نتلمس وأن ندرك الحقائق فيها.

والدليل ما هو أثر العبادة على سلوكنا وعلى أخلاقنا؟ لو كانت العبادة قوية فعلًا، امرأة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها، قال: هي في النار. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾، كيف يتزكى الإنسان؟ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾. فالذكر والصلاة تطهر الإنسان وتجعله زاكي النفس، بعيدًا عن العقد، لكن الإنسان في هذا العصر معقد لأنه إنسان مادي، الحياة المادية تخطفته.

لذلك أود أن أقول في هذه الجزئية بالذات من جزئيات العبادة الحقة: نحن نريد العبادة التي تقوم على الحقيقة والجوهر، العبادة التي تنفذ إلى الفقه والمقاصد والأسرار والحكم، العبادة التي ترفع من قدر الإنسان وتسمو بروحه، هذه هي العبادة المعنية.

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾، ولكن السعي في الأرض مربوط بالآخرة، قال: ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾. فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه، لكن لا بد أن تتذكر المعاد: وإليه النشور. ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، هذا الربط بعالم الغيب. عودة الإنسان إلى الآخرة تجعله متوازنًا، لأنه سوف يضع في حساباته وفي ممارساته أنه إلى الله عائد. هذا المعنى في قوة اليقين الذي نحتاجه خاصة في أمر الأرزاق والمعايش والتوكل والاعتماد على الله، هذا جزء من مفهوم العبادة.

طيب، بعد ذلك أنتقل إلى قضية مهمة، وهي كيف تخرج العبادة من الصورة؟ تخرج العبادة من الصورة بأن نتعبد الله بعبوديات القلب قبل عبوديات الجوارح. واعني بعبوديات القلب، إخواننا، الجسد عنده عبودية ولكن القلب له عبودية. فالإخلاص عبودية القلب، والتوكل عبودية القلب، ومحبة الله وحبه عبودية القلب، وخشيته عبودية القلب، والإخبات عبودية القلب، والصدق والتوكل على الله والثقة فيه، وتفويض الأمر إليه، والأنس به، كل هذه العبوديات عبودية القلب، وخوفه ورجاؤه كلها عبوديات القلب.

وعبوديات القلب كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في التحفة العراقية في الأعمال القلبية هي جوهر العبادة وأساس عبوديات الجوارح، ولا تصح عبودية جارحة من الجوارح ما لم تصح عبودية القلب، بأن يكون القلب لله. وهذا المعنى عبّر عنه ابن القيم رحمه الله بأن العبودية المعنية هي عبودية القلب، بأن يسجد القلب لله

كما تسجد الجوارح لله. قال: وإذا سئلنا هل للقلب سجود؟ قال: نعم، ولكن القلب يختلف سجوده عن سجود الجوارح، القلب إذا سجد لا يرفع من سجوده إلى يوم القيامة، يظل ساجدًا لأن القلب أصبح كله محبة لله، ليس فيه مكان لغير الله.

ومن هنا يأتي الخلل في أن القلوب مزحومة، مزحومة بغير الله: التعلق، والذرية، والأموال، القلب فيه شركاء متشاكسون. ينبغي أن يكون القلب سالمًا لله، لا يلتفت القلب لغير الله.

وهنا يضرب ابن القيم مثالًا بإبراهيم عليه السلام. ولذلك لما بلغ النبي ﷺ أعلى الدرجات وهي سدرة المنتهى، قال: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾. العبودية تلازمه، ولولا العبودية لما بلغ هذه المنزلة. وعندها تمت عبودية القلب: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾، وعندها ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾.

قال ابن القيم: لما بلغ إبراهيم الخلة، ومنزلة الخلة لا تقبل المزاحمة، وإبراهيم عليه السلام قد أحب ولده إسماعيل لأنه أنجبه وولده على كبر، فحصل شيء من التعلق، وأراد الله لقلب إبراهيم ألا يكون فيه غيره، فأمره بذبح ابنه. قال ابن القيم: ولذلك لما استجاب إبراهيم عليه السلام حصل المقصود وهو ذبح إسماعيل. ولكن إسماعيل لم يذبح. ذبح إسماعيل معنى في قلب والده، فلم يكن هنالك داع لذبحه حسًّا. بعد ذلك: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

فسلامة القلب وطهارته ونقاؤه واستقراره وثباته وإقباله وإخباته وخشوعه وخضوعه وذله وإجلاله وتعظيمه ورقّته وتقديسه لله هو الذي يوجد العبودية البعيدة عن الشكل والصورة والحركات، فيجعل حركة ذات مضمون، ويجعل الذكر ذا معنى، ويجعل العبودية ذات مقصد. وهذا من الإشارات المهمة المفقودة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

طيب، نحن نعيش في عصر أصيبت القلوب فيه بزلازل، زي الزلازل اللي بتحصل في إيران دي، القلوب زاتها شنو؟ اتزلزلت. لكن نحن نعيش في عصر الملذات والملاهي والشواغل، القلب لا يجد لذة ولا متعة للعبادة، وهذا من أعظم الشكاوى التي في عصرنا، قسوة القلوب. كثير من الناس يقول: لقد تغير عليّ فؤادي، أصلي ولا أجد نفسي حاضرًا، أذكر الأذكار وأجد نفسي أرددها ترديد الروتين، أعبد كعبادة الآلة والأداة، لا أشعر بمعاني العبودية الحقة، أمر على القرآن فلا أتأثر، أقف على آيات الجنة والنار فلا أهتز، ما الذي أصاب قلبي؟ هذا من الإشكالات، يعاني منها من يصلون في المساجد.

أتى رجل إلى الفضيل بن عياض رحمه الله وقال له: أشكو من مرض البعد عن الله، فهل لمرض البعد عن الله من دواء؟ نحن نشعر أن الله ليس ببعيد، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، ولكن نشعر أن قلوبنا بعيدة.

قلنا أيها الأحبة: إرجاع الأمور إلى الله هو جوهر العبادة. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على سبيل الحصر، تفيد الحصر فتخرج كل معبود سوى الله. لو كانت الآية نعبدك يا الله، ممكن تكون نعبدك ولا يمانع أن يعبد غيره، كويس؟ لكن إياك نعبد، العبادة بهذه الخصوصية العميقة الحقيقية لا تكون إلا على سبيل الحصر والتخصيص، لأن تقديم الضمير على الفعل للخصوصية والتخصيص.

لكن الواحد ما يلجأ لله، ما بلجأ لله طوالي في أي حاجة، مع أن السلف يلجأ إلى الله في كل شيء. شرع الله الاستخارة، الدين فيه استخارة، والاستخارة قائمة على شواهد الإيمان وحقائق اليقين: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم...

قال له الفضيل: عليك بعروق الإخلاص، وورق الصبر، وعصير التواضع، وضعه في إناء التقوى، وصب عليه ماء الخشية، وأوقد عليه نار الحزن والبكاء والندم، وصفِّه بمصفاة المراقبة مع الله، وصبه في كأس الاستغفار، وتناوله بكف الصدق، وتمضمض بالورع، وابعد عن الحرص والطمع، تشفَ من البعد عن الله، تجد قلبك قد أقبل على الله بكلياته، فكنت له عبدًا وحققت العبودية. معناه تحقيق العبوديات القلبية الراقية.

بعد ذلك إذا تحققت عبوديات المحبة يجد العابد لعبوديته معنى. يعني أعطيك مثال، من العبوديات المفقودة عبودية الأنس بالله، أن تأنس بمن؟ بالله، هذه عبودية مفقودة. قال أبو سليمان الداراني: أهل الليل في ليلهم أشد فرحًا وطربًا وأنسًا من أهل اللهو في لهوهم. ويجيك زول ينفخ لك في الميكروفون، يقول لك: ما زال الليل طفلًا. شنو؟ يحبو. عشان أسوي شنو؟ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾، ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾. الناس اللي قايمين الليل يصلوا ويركعوا ويسجدوا مبسوطين أكتر من الناس اللي في الحفلة.

يقول ابن رجب عنهم: إنهم قاموا في جوف الليل فوقّعوا توقيع العبودية لله، وقّعوا: نحن عبيدك يا الله. وقّعوا توقيع العبودية، صحائفهم خدودهم ومدادهم دموعهم. يعني الحبر اللي كتبوا به في جوف الليل عبودية دموع، والصحيفة اللي كتبوا فيها معاني العبودية الخدود، ولذلك قال: صحائفهم خدودهم

ومدادهم دموعهم، قاموا على قدم الذل.

خلاصة العبودية، تأكد أن جوهرها أن العبودية لا تقوم إلا على أمرين: الأمر الأول الحب الكامل، الأمر الثاني الذل التام. لا تقوم العبودية إلا على قدم المحبة وساق الذل، ومن فقد الحب أو الذل لا يمكن أن يكون عابدًا. عشان تسمع الكلام ده كويس، ركز معي، كلمة عبد تدل على ذل، أن العبد لا بد أن يكون ذليلًا بين يدي سيده ومولاه، والطريق المذلل الذي يوطأ معبد.

ولكن بعض الناس يحب بعض البشر، ويذل بين أيديهم، وهذا هو الذي قاله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾، وهو تقديس البشر، سواء كان علماء أو شيوخًا أو أولياء أو أنبياء، أي بشر يقدس يصبح أخذ دربًا من دروب العبودية. ولذلك من الأنبياء من عُبد ولكن لم يكن طاغوتًا، لأنه عُبد من دون الله وهو غير راضٍ. أما الذي يعبد وهو راضٍ فقد نازع الله العبودية. فبعض الناس يحب شيخه حبًا شديدًا، هذا ما فيه شيء، تحب شيخك لأنه يعلمك الدين.

وقد تذل لإنسان إذلال جسد دون أن تحبه بقلبك وأنت له كاره، لا يمكن أن تكون له عبدًا، هذا استعباد المكره. أما العبودية فذل عن الطواعية وحب عن اختيار، وتلك هي المعاني النافذة. ولذلك قال: الدعاء هو العبادة. لماذا جعل الدعاء عبادة؟ لأن الدعاء يجمع الحب لمن تسأل والثقة فيه ابتداء، أنت رفعت إليه أكفًّا لأنك تحبه وتثق فيه، ثانيًا مع السؤال ذل وإظهار فاقة، هذه المعاني الحقة في العبودية، حققها رسول الله ﷺ لما دعا الله دعاء ذل وخضوع وتسليم قلب وإقبال فؤاد وجسد.

وهذه قاعدة: من ذل لله أعزه، ومن افتقر إلى الله أغناه. لا يملأ الله قلبك يقينًا إلا عندما تذل، فبعد ذلك لا يعجبك شيء من الدنيا. معاني الغنى بالله، ومعاني الذل لله عز وجل.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ففيه أمور. الأمر الأول: لماذا جاءت الاستعانة بعد العبادة؟ فقدم قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، والسبب في ذلك أن العبادة غاية، وأن الاستعانة وسيلة من وسائل العبادة، هذا من باب تقديم الغايات على الوسائل، والعبادة حق لله، والاستعانة عائدها يرجع عليك. فلذلك قدمت العبادة على الاستعانة. والاستعانة جزء من العبادة، يعني من العبادات الدعاء، والاستعانة والسؤال واللجوء إلى الله، ولكن لا يعني كل العبادات، فتقديم الكل على الجزء مهم.

ومن حقق معاني العبودية حقق معاني الاستعانة، وهي طلب العون من الله. الآن هذا العصر الذي نعيشه فيه ضعف في باب الاستعانة بالله عز وجل، يعني الإنسان عليه أن يسأل الله في كل شيء، أي شيء يسأل الله، وأن لا يستعين بغير الله.

وابن القيم يقول: الاستعانة هي التوكل، التعلق بالله وانصراف الهمة إلى الله وعدم الانصراف إلى المخلوق، والتوكل نفسه على مقامات بالمناسبة. الصنف الثاني أن تستعين به في الدينيات، زي القول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾، هذه استعانة بالله على أمر الآخرة. الثالث: التوكل على الله في كل شيء حتى عدم طلب الدنيويات من الناس، ودي درجة عالية جدًا.

هنالك أمور تنافي أصل التوكل وتجعل الإنسان مشركًا، زي الزول بيتوكل على البشر وبيتوكل على الأسباب أكتر من مسببها ويتعلق بها، هذا شرك. وفي نوع ينافي كمال التوكل، يعني ما بتبقى مشرك، لكن الأفضل تخليه. والتطير هو التشاؤم، والتطير ينافي أصل التوكل، يعني زول بيتطير ده بيخش في الشرك. أما التطير فحرام جملة وتفصيلًا.

سبب الاعتماد على الله الثقة في الله، يعني متى تستعين بالله؟ لما تثق فيه، كويس؟ لأنه قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

هذا العصر ينبغي أن يكون عصر التوكل والاعتماد على الله والاستعانة به، والسبب أنه عصر المشاكل، الأمراض كثرت، والبلايا والرزايا تعددت، والمحن في الأمة انتشرت، وما من الناس إلا وهو يشكو. ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾، ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾. إياك نعبد وإياك نستعين، العبودية مع الاستعانة تعني كمال اللجوء وتمام الاعتماد على الله عز وجل، وهذا هو عصره. لماذا؟ لأنه ما منا إلا وهو يشكو.

المجتمع مليء بالإشكالات، طيب، كثير كثير. على مستويات كثيرة جدًا، رجال ونساء وشباب، تجار ومسؤولين، فقراء وأغنياء. أقول له: هل طرقتم باب الله في وقت السحر وفي وقت الدجى؟ قلت لهم: بذات الضراعة وبذات العبرات التي سكبت والدموع التي أنزلت وبذات الذل، قدموا شكواكم وقت السحر لله. يعني كثرة الإشكالات في العصر توجب الرجوع إلى الله، إياك نعبد وإياك نستعين، قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾.

لذلك أقول: إياك نعبد وإياك نستعين هي من أدوية عصرنا، وهي تعالج قضايا كثيرة جدًا شائكة في حياتنا، وتجعل سكينة قلوبنا المضطربة تعود.

لذلك نحن نحتاج إلى الاستعانة الكاملة التامة القائمة على الثقة في الله وعلى اليقين وعلى الدعاء، وقبل السؤال أن تكون مستيقنًا بأن الله يعطي، وأنه يسمع كلامك، وأنه يجيبك، ولا ينقصه شيء. هذه المعاني هي معاني إياك نعبد وإياك نستعين. أحسب أني وقفت عندها في إشارات عابرة، وأن الموضوع أكبر، فقد كتب ابن القيم مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين في ثلاث مجلدات ضخمة تتحدث فقط عن إياك نعبد وإياك نستعين، إنما هذه بعض الإشارات حول هذا الموضوع الهام. نسأل الله تعالى أن يوفق وأن يتقبل وأن يعين، وبارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا على حسن استماعكم، وجعلنا الله وإياكم من العابدين.

الجد بمعنى المكانة والحظ والنصيب والقوة والرفعة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، جده يعني مكانته ورفعته وقوته، فجد الشيء رفعته. هذا معنى: ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

سببها أمور، منها معاصٍ حسية بالنهار، ومنها آفات الاعتماد على النفس، ولا أجد دواءً أدلك عليه أكثر من التبرؤ من الحول والقوة والافتقار إلى الله، فإنه أقرب طريق: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين. فأنت تحب الله وتريد أن تتعبده، وتظن أنك يمكن أن تتعبد الله بدونه. استعن بالله والجأ إليه، واجعل نستعين طريقًا إلى نعبد، ابدأ بأن تحبه أولًا وهذا يحقق العبودية، وابدأ بالاستعانة به على الدوام على العبودية.

ألا ترى أنك في فاتحة الكتاب في كل صلاة تقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وأنت تصلي؟ ذلك لأن الدوام على الصراط والزيادة في الهداية مطلب للمؤمن لا ينفك طوال حياته، ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، لذلك أنت محتاج إلى أن تلجأ إلى الله كثيرًا، وأن تتملقه، وأن تقول له: اللهم أقمني عبدًا لك وأعني على عبوديتك، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

ثانيًا: اقطع الأسباب التي تجعل القلب لا يقيم على العبودية، من المعاصي والمخالطة وفضول الكلام، مما يقسي القلب ويجعلك بعيد الفكر مشتت البال لا تستطيع أن تعبد الله العبادة الحقة. ثالثًا: احرص على الأجواء الإيمانية وصاحب الأخيار، واحرص على قراءة الكتاب، واتبع الحسنة الحسنة، فاستمر. ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ

فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾، كلها معينات تثبت قلبك على العبادة، وحاول وجاهد النفس في عبادة الله عز وجل.

أولًا الأخذ بالأسباب دين.

ولكن كما قال ابن القيم: ألا تتخذ الأسباب أربابًا، بمعنى ألا تنصرف الهمة، ولا يحصل الاعتماد على الأسباب، إنما أن تتعاطاها كأسباب. لذلك يقول ابن القيم: ترك الأسباب زندقة. زول يقول: أنا في بيتي ده لا بمشي أفتح لي دكان ولا جامعة ولا بتوظف، بس أنا قاعد في بيتي ولا بزرع لي، هذي زندقة، زنديق. والتعلق بالأسباب شرك، والصواب اتخاذ الأسباب لا التعلق بها، واتخاذها أن تكون الأسباب في الجوارح. تفتح دكانك وتجتهد وتجيب البضاعة الكويسة وتجتهد، لكن ألا تكون الأسباب في قلبك، أن تكون في يدك، وهذه هي الموازنة الصحيحة.

ترك الأسباب وعدم تعاطيها فيها عدم التعامل مع الشرع، لأن جعل كل شيء بأسباب: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾، لا بد من السعي والضرب في الأرض، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾. الأرزاق مقدرة وموجودة، لكن سبحان ربك قال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾.

طرح الأسباب وعدم الأخذ بها حتى باليد ومباشرتها زندقة، ليه؟ لأنها تعطيل للشرع، يعني مثلًا الزواج سبب للذرية، لن تكون هنالك ذرية إلا بالزواج. فتعطيل الأسباب تعطيل للشرع. ثم تأخير الزواج هذا فيه عدم اطمئنان لعون الله. ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

فقه هذه الأعمال أنها في الجزاء وليست في الإجزاء، يعني الإجزاء معناها لا تجزئ، لكن في كمية الثواب والأجر. لا تجزئ عن حجة الإسلام، لكن في الجزاء، يعني في الثواب والأجر، وليست في الإجزاء. ولذلك مثل هذه الأعمال الغرض منها كمية الأجر الكثير، وليس الغرض أنها تجزئ عن الحجة وعن العمرة.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/إياك-نعبد-وإياك-نستعين/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com